

باطل الأباطيل وقبض أمرهم!



بقلم يوسف أحمد المحمود

بل ان حسابها ، كل حسابها مع الزعامة التي لانزال تجر ، في زعمها ،
الويل والثبور على محكوميتها . انها تجهد نفسها بالاعلان ، تلويحها
وتصريحها ، انها ضد الفساد - فساد غيرها - في هذه المنطقة . وهذا
الفساد متمثل ، كما يطيب لها ان توهم ، في الحكام !

ولكن .. هل الشعب العربي ، الذي تقول أمثاله «انا وأخي على
ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب» ، من الغفلة بحيث يروى لاسرائيل
ان تفترض ؟ هل هو من سوء الظن بنفسه بحيث لم يعد يجد من يهتم
به ويرعى مصالحه ويصون كرامته ويكفل له حقوقه الا الصهيونية ؟
ان اسرائيل لاتداب على ترديد شيء الا حسب خطة قريبة
وبعيدة . انها ليست من الغباء الى حد تفترض فيه انه لا يوجد اكل
حكم وطني معارضون ومنتقدون ، بل ومناهضون ، لانها هي نفسها
لاتخلو من مثل هذه المظاهر التي تعتبر مظاهر صحة اكثر مما هي مظاهر
مرضية ، ولكنها لاتتورع ان تأخذنا نحن بالغباء ، وتجعل ما هو صحة
في الطبيعة مرضا فينا ووباء على ارضنا . والعناية الالهية التي
«مانزلت داء الا وانزلت له دواء» قد خصت بها هذه المنطقة . ومن
الداء ما يعالج - على حد تخطيطها - بالغباء .

ونحن كسحب لايحط من شاننا ان لنتكون مع حكمانا في كل شيء .
كما انه لايرفع من شان هؤلاء الحكام ان نوافقهم في كل شيء . ولكن
ان ترمي اسرائيل بهذا التحريض غير المباشر الى ايقاع الشعب
بحكامه ، لنتكون هي المنتفعة فاننا لانظنها قد قدرت فينا أي ذكاء ولا
احسنت بنا الظن .

انه لايفيب عن بال احد منا ، شعبا وحكاما ، ان العدو المبصر
بالعيوب انفع من الصديق الذي لايرى الا الحسنات . اما ان تجعلنا
اسرائيل في مستوى لانفرق فيه بين النصيحة والوفيقية ، وبين الصديق
والعدو ، فهذا ما يؤكد لنا انها تحاربنا معا ، شعبا وحكومات . ومن
جنود هذه الحرب ان تفصل بين الشعب وبين الحكام لتتقي بكل جانب
خطر الاثنين معا .

والسخرية ليست في هذه البداة «الصهيونية» . وانما هي
في ان تكون اسرائيل تعلم كل العلم ان كل الانقلابات والثورات التي
تعاقت قيامها في بعض الاقطار العربية ، انما كانت غضبا من الشعب
لقيامها هي بالذات . وان تعلم ان الشعب العربي في كل اقطاره وفي
مهاجره غاضب على حكامه لانهم لا يوحدون نظمهم وقواهم لمواجهة خطر
اسرائيل .

اسرائيل لاتتجاهل هذا . ولكنها تحاول جاهدة ان تجعل الغاضبين
يتجاهلون سبب غضبهم وان يختلط عليهم الامر ، كانها ليست هي سبب

« ويل لي ياامي لانك ولدتي انسان خصام وانسان نزاع لكل
الارض ... » صرخة يهودي قديم وجد متسعا ليلعن اليوم الذي ولد
فيه . والصهيونية التي اخذت على نفسها ان تؤدي رسالة « الخصام
والنزاع » باشنع شكل في الوطن العربي ، تتخذ اليوم من حرب «الايام
الستة» مناطق ضغط مرتفع ، تمطرنا منها بالمنطق والواقع والتعقل ،
وترعد بالوعيد وتبرق بالتهديد .

منطق القوة !... وقديما حملته الينا افيال الحبشة ، وطحون
الفرس واجتاحتنا به سيول الفول وامواج الصليبيين ، واقتمد صدورنا
به الاتراك .

واقع الاحتلال !.. وحديثا داهمتنا به بريطانيا «المظمى» وفرنسا
وايطاليا .

والان ... يضاف اليهما تعقل الصهيونية ! « باطل الاباطيل »
في عصر العلم وغزو الفضاء ، تحاول بمنطق القوة وواقع الاحلال ،
ان تفرض علينا بالتعقل خرافة ظلمات التاريخ ، و « قبض الريح » !
وتوهم اسرائيل انها تعذر فيما تنذر . فما كانت اساءتنا اللى
اليهود قبل ان تقتنمنا الصهيونية بهذا الغزو ؟ هل نحن الذين ولدنا
امهاتنا انسان خصام ونزاع لكل الارض ؟ أي منطق ، أي واقع ، وأي
تعقل يدعو الصهيونية الى تركيب هذه المعادلة الشيطانية : العرب
والغناء واليهود !

اسرائيل «توعي» الشباب الفلسطيني .. تحذرهم من تفرير
المنظمات الفدائية بهم وتعريضهم للقتل . وتنسى هي تفريرها باليهود
قتلهمهم من اقطار العالم ، وتزج بهم في فلسطين لتقتل بهم شعبا
في وطنه . وما من احد في الدنيا يستنكر ان يكون جزاء القاتل
البغي القتل .

اننا هنا لانحاول ان نرد على الاساليب اللانسانية واللااخلاقية التي
مافتتا اسرائيل توجهها الينا كل يوم في صيغة احاديث خبيثة مأكرة
وتعليقات ، خاطفة وغير خاطفة ، بل اننا خطوة خطوة مع : منطق وواقع
وتعقل باطل الاباطيل وقبض الريح .

اسرائيل وسياسة سل الشعرة من العجين :

من « مرددات » اسرائيل اليومية محاولة الفصل بين الزعامة
العربية - الحكام ، كاننا نوع سلطتهم ماكان ، وبين الشعب الذي
لانزال السلطات الوطنية تحتفظ بتقسيمه في اقطار حسب تخطيط
الانتداب والاستعمار . انها لا تفتنا تظهر انها لا تريد سوءا بهذا الشعب ،

هذا الفئسب ، وكانها ، بقتلها العرب واحتلالها لارضهم ، لم تفعل ما يفرض له ، ولم تات بما يفرض الشعب العربي عليها هي ، بل ما يفرضه على حكامه ولاسباب اخرى !

هل تجرؤ اسرائيل على ان توهم انها تراءف بالشعب العربي ، وان عداها انما هو للزعماء الحاكمين فقط ؟ اذا كان هذا هو مضمون ما تكرره كل يوم وتلج عليه للفصل بين الشعب والحكام ، فهل كان العرب الذين ذبحتهم في دير ياسين ، والذين قتلهم جيشا تفتنهم في ارض فلسطين ، واضطرت من لم تثقف منهم الى النزوح الى ما وراء فلسطين هل كان كل اولئك من الزعماء ، حاكمين او غير حاكمين ؟ اذا كانت تفترض هذا الفصل في نفسها براعة ودكاء فهل تفترض فينا هذا المقدر من الفناء !! هل هي تزكي الشعب العربي بفصله عن حكامه حتى لا يمسه ضررها اخذاً بسياسة « سل الشعرة من العجين » ، ام انها تسخر منا اذ تمدحنا بما يضربنا فله وينفمها هي ؟

اننا نتمنى لو كانت ، وحرابها في قلوب الشعب اجمع قبل ان تكون في رؤوس الزعماء ، تخدع نفسها هذه الخدعة الكبيرة الزرية . ولكننا لا نجعلها بحيث جعلتنا . فهي ليست بحاجة لان نؤكد انه لو استجابات الزعامة العربية الحاكمة لرغبات الشعب نصف استجابة فقط ، لكانت البلاد العربية ، من الخليج الى المحيط ، دولة واحدة ، تحقيقاً للشعار الذي ما زال الشعب يهتف به منذ مطلع الخمسينات: ارض واحدة ، شعب واحد ، علم واحد ، جيش واحد ، ورئيس واحد . ولا يغيب عن بال ايسر فرد من هذا الشعب ان دون ذلك صعوبات ، ولكن اي صعوبة تقاس بما حمله الينا وجود اسرائيل كيانا دخيلاً عدواً بيننا ، يهددنا بالاطار العاجلة والاجلة ؟

هل تموت اسرائيل بما عاشت به ؟

ولا تبرح اسرائيل هذا الموقف . فما تخاطب به الشعب العربي عامة تخاطب به الفلسطينيين خاصة . انها في برامجها الموجهة الى الفلسطينيين النازحين وباللغة الفلسطينية العامة تصر على ان تثبت في روعهم ان الزعامة العربية هي التي ادت بهم الى هذا المصير . هي التي عرضتهم للقتل في بيوتهم ، وسببت التشرد ان لم يقتل منهم . هي التي تاجرت ولا تزال تاجر بقضيتهم وتشردهم ، لان حكم هذه الزعامة حسب تعبيرها ، رهن ببقاء الفلسطينيين النازحين نازحين ، ووقف على بقاء النازحين متمسكين بالعودة الى ديارهم . ولو تولى الفلسطينيون قضيتهم بأيديهم لما حصل لهم ما حصل ، ولما استمروا فيما لا يزالون مستمرين به من بؤس وتشرد .. الخ ..

وهكذا تظل بالقضية من النها الى يانها عند قضية الزعامة . فكانها ما جاءت الا لتخدم العرب بقطف رؤوس الزعماء ، ولكن اصفاء الفلسطينيين الى المتزعمين هو الذي اضطرها لماعتهم هذا العقاب . دابت اسرائيل على تلاوة هذا عشرين سنة على الفلسطينيين ، كانه الماء تصبه على الجلود التي فرحتها سياطها والبلسم تدهن به الاجسام التي حرقها نيرانها . ثم قام الفلسطينيون ليحكوا جلودهم باظافرهم . جمعوا بقاياهم في منظمات فدائية ، راحت تقتحم ارضهم المقتصبة تقتحم الحديد والناز وتتسرب من الحواجز الالكترونية . فماذا كان رد اسرائيل على ما كانت تاخذ على الفلسطينيين عدم الاخذ به ؟ انها رغم كثرة الرادفات للفداء والبطولة والثار واسترجاع الحقوق المقتصبة لم تجد كلمة تسمى بها هؤلاء الفلسطينيين الا « المخربين » و«القتلة» و«المتسللين» .

ان اسرائيل التي ما تفتت تصم الزعماء العرب بتشبيهم بالنعامة الماتور عنها اخفاؤها راسها في الرمال ، زاعمة انها تخفى كلها بذلك عن الصياد ، اسرائيل اخفت راسها هذه المرة لا بالرمل ، وانما بالوحل . ومن تحت الوحل راحت تدعو الزعماء العرب الى المنطق والواقع والتفعل متناسية الفلسطينيين اصحاب القضية واصحاب الحق ، الذين لم

يعدوا وسيلة لاسترجاع بلادهم الا ان يباهوها ، وهي تتبجح كدولة بما يباهتهم به هي يوم كانت مجرد منظمات يدربها ويسلحها ويرعاها الاستعمار ، وهم افراد عزل يكبحهم ذلك الاستعمار !

لقد افترضت وجودها منطقاً ، وعلى الزعماء العرب ان يتثقفوا بهذا المنطق . واعتبرت قيامها واقفاً ، وعلى هؤلاء الزعماء ان لا يفوتوا على انفسهم فرصة التسليم به . واعتقدت ان قوتها تعقل ، وعلى الزعماء ان يتشجعوا ولا يحجموا عن التحلي بهذا العقل . ولماذا الزعماء في كل فرضية وفي كل مقدمات منطقية ، وهي ما تفتتاً تلعن جهادها في هؤلاء الزعماء ؟ لماذا لا تتحلى هي بما تلزم غيرها التحلى به ، وتسمي الاشياء باسمائها الصحيحة ، فتضع - وهذه المرة فقط - المنظمات الفلسطينية مقدمات للمنطق الصحيح ، وليس منطقها الصهيوني وحده !

ان المنطق العربي قال للزعماء اليهود منذ قرون: « ولا نلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون . تأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم . » . ونحن ما كان ليهننا ان تنسى الصهيونية نفسها مما تلزم غيرها به لولا انها تحمل هذا الغير على ان يترك صوابه هو لخطئها هي ، وان تصبغ باطلها بحقه ، فيصير هو المخرب اذا ما قام يسترد ارضه بدمه ، ويصير هو القاتل اذا ما استمات بزحزة المقتصب عن تلك الارض . ان تحتل الصهيونية الارض . ان تقتل وتشرد اهلهما الذين كانوا عزلاً ، فهذا بطولة خارقة . اما اذا استرد الفلسطينيون انفسهم وجهتوا بالفتح اسوار الموت التي اقامتها اسرائيل من حول تلك الارض ليشاروا لعشرين سنة من التشرد والقهر ولالاف القتلى والمقتسات وطرنه فهذا تخريب وقتل ، وليس من المنطق في شيء !

المنطق ان تتبجح الصهيونية انها « حررت وطننا » مزعوماً مرت به ، وهي مجرد جماعة بدوية ، في ظلمات التاريخ وبمساعدة الاستعمار الذي كان ينوء به آنذاك ثلاثة ارباع العالم وليس العرب وحدهم . اما ان يقوم الفلسطينيون بالخطوات الاولى لاسترجاع وطنهم الذي لا يستطيع ان ينكر وجودهم المستمر فيه ناكراً ، ولا يجحد حقهم فيه جاحد وبعد عشرين سنة فقط من اغتصابه ، فهذا ليس بمنطق !

فهل اخذت الصهيونية تتمتع بمزايا الجهول الذي ما زالت تصم به الزعماء العرب ؟ اذا كانت هي قد صارت دولة بعمليات ارهابية وسمت ذلك بطولة خارقة ، فكيف تستكر ان تموت بنفس العمليات التي كفلت لها عشرين سنة من الحياصة القلقة ! اننا لا نظلمن الى ان اسرائيل اخذت تخطي ، فهي موقنة بانها مضطرة الى هذا الخطا ، ولكنها تحاول ان تجعل هذا الخطا فينا نحن ، وان تلزمنا اياه بالترديد والتكرار . وما تحاول اسرائيل بالنسبة للشعب العربي عامة بالفصل بينه وبين الزعامة الحاكمة ، تحاوله بالنسبة للفلسطينيين خاصة بالفصل بينه وبين زعامته هو من جهة ، ومن جهة ثانية بالفصل بينه وبين الزعامة العربية كلها . وكان القضية كلها قضية مترعمين و« متطاحمين » على الزعامة ولا شيء آخر . وهذه افدح مفاظة يهم اسرائيل ان تبقى منشغلين بها ، وان تحول هي بها كل شيء عن وجهه الصحيح .

النأاب الصهيوني :

ما تزال اسرائيل ، وحسب خطة نفسية مدروسة ورغم وقوفها بالقضية عند حد الزعامة ، تحرص ان لا تقول كلمة بدئية صراحة في اي حاكم عربي ، وبخاصة في نشرات اذاعتها الاخبارية . ولقلما تورد اسم حاكم الا مسبوقاً ب « السيد » او الرئيس او الملك ، جدا كان او تهكماً ، مقابل ما لا تزال تجود عليها به بعض الاذاعات العربية من نعوت « دويلة العصابات » و« الملقب بوزير خارجية الصهاينة » الخ .. ولكن هذا التأداب الذي التزمته تجاه الزعامة ، وموقفها منها معروف لم تلتزم شيئاً منه تجاه الفلسطينيين ، بل سارعت الى وصمهم بالمخربين

والقتلة والمخدوعين . فلماذا تشبث إسرائيل بما افترضته خطأ في الزعامة العربية ، وترفض الاعتراف بما هو صحيح في الفلسطينيين؟ كما كنا وما زلنا نلحق أي عمل يستهدف بنا ضررا بالاستعمار كذلك تصر اسرائيل على الحاق أي عمل فدائي يقوم به الفلسطينيون انفسهم بالزعامة العربية . واذا كنا نحن نصيب ثلاثة ارباع الصواب بإحافنا الاعمال المصرة بنا بالاستعمار ، فان اسرائيل نخطف مئة بالمئة ، وهي تمنع بالحاق الاعمال الفدائية بمصالح الزعامة العربية . فما هي مميزات هذا المنطق والتعقل والواقع عند الصهيونية ؟ لان بعض الزعماء العرب يساعدون الفدائيين صار العمل الفدائي لحسابهم ؟ لانهم يتخذون ارض بعض الاقطار العربية منطلقا لعملياتهم صارت عملياتهم لحساب زعماء هذه الاقطار ؟ لماذا تقاطع اسرائيل هذه المفاصلة وتحاول ان تنسى الفلسطينيين بمدة عشرين سنة فقط ، وتحمل الفلسطينيين على ان ينسوا انفسهم وبلادهم بمثل هذه السرعة ، وتجهد ان تقنع العالم بان لا وجود للفلسطينيين ولا شأن لهم !

الصهيونية نفسها لم تعتمد على الاستعمار البريطاني ؟ ألم تأخذ منه الصك والسلاح والحماية والرعاية ؟ وظلت تمتص البرتغالية البريطانية حتى نمزقت فشرتها ونصل لونها . ثم تحولت الى « شركة ضمان » الاستعمار الكبرى ، اميركا . وهي الآن تعيش عسكريا وسياسيا واقتصاديا على امتصاص هذه البرتغالية الاميركية . وستظل تمتصها حتى تستفيق شركة الضمان على افلاسها كما استفاقت بريطانيا . والصهيونية لا تمت بصلة رحم الى بريطانيا ولا الى اميركا ومع هذا فقد جهدتا ولا تزالان تجهدان بمساعدتها وضمان بقائهما . فكيف ينفي منطق الصهيونية انها لا تعمل لحساب الاستعمار ؟ كيف لا يفتح ذلك المنطق عيني الصهيونية ، وليس غفلها ، الى ان الفلسطينيين عرب والمنطقة المحيطة بهم عربية ، ومن المنطق والواقع والتعقل ان يساعدهم العرب ، شعبا وحكومات . وهم اذ يفعلون ذلك فانهم لا يقومون الا ببعض الواجب تجاه الاشقاء المهجورين ، وتجاه رفاق التاريخ والمصير . لا يقومون الا بما يمكن ان يمنعا من ان تفعل بكل العرب ما فعلته بالفلسطينيين ، وبكل الارض العربية مثل ما فعلت بفلسطين . اسرائيل ترفض منطق العرب فيها انها ، في هذه المنطقة ، أسلوب آخر من اساليب الاستعمار ، وهي التي قامت على اسس الاستعمار ولا تزال مرعية بعنايته ومحمية بسلاحه وتعيش على أمواله ، اما ان يساعد العرب اشقاءهم الفلسطينيين ، فهذا ما تحمل مسؤوليته الحكام والشعب معا ، وتوعد الاحتلال وتهدد بالتدمير مرة اخرى منطق صهيوني !

نحن واليهود :

مقتربة من الاصل او مبتعدة عنه . هذا مما يقنعنا بان السيطرة على رؤوس الشعوب ليست مضمونة الى مدى بعيد ، لا بواسطة الفكر ولا بواسطة رؤوس الاموال حتى ولا بالقوة مهما كانت هذه القوة غاشمة او علمية . فلماذا - اذا - تضرب اسرائيل بهذا العنف الاحمق؟ هل اطمانت الى اننا صرنا قشما لا يرد على نارها الا بان يلهب، والى ان العالم صار في يدها عجيبة تصنع بها ما تشاء ؟ ولماذا ترعد مهددة هذه المنطقة بالتدمير وشعبها بالابادة ؟

هذا الطيش الذي تضربنا به اسرائيل هل هو انتقام لماض ، ام هو من بوادر تنفيذ اول خطوة من اقامة « دولة صهيون » العالمية ؟ قبل الاجابة عن الشق الاول من هذا السؤال لا بد لنا ، للامانة من ان نستعرض بايجاز علاقات العرب باليهود قبل ان نكون الصهيونية والسنة ١٩٤٨ .

اننا ، اذا ما استثنينا موقف بني النضير من اول بادرة لجعل العرب امة ودولة حضارية بقيادة محمد الرسول ، لا نعود نجد حدثا بارزا قام به اليهود علانية ضد العرب ، ولا حادثة مدبرة او عفوية ، قام بها العرب ضد اليهود . بل ان اليهود ، كائنة دوافعهم ما كانت ، اخنوا يساهمون باغناء التراث العربي الاسلامي الثقافي كما ساهم بذلك افراد يضيق بهم الحصر من امم اخرى ربطتها بالعرب رابطة الدين والحضارة . والحكام العرب المسلمون استعانوا باكثر من يهودي وحتى على مستوى وزارة في شؤون الحكم ، كما استعانوا ب « خبراء » او « فنيين » حسب تعبير هذا العصر ، من الفرس والروم في دواوين الدولة .

وكانت المصوور الحديثة . وقامت بعض الشعوب تستنصص همهما الكابية بالفكرة القومية وبعضها بوسائل اخرى ، حتى الرمق الاخير من القرن التاسع عشر ، فاذا بالصهيونية الفضة توجه انظار اليهود الى فلسطين لاقامة دولة لهم فيها . واذا نحن ، وبعد خمسين سنة فقط ، في معركة مصير مع الصهيونية على مستوى دولة . واذا نحن لا نكاد نتنفس الصعداء من مقارعة الاستعمار الغربي حتى نشرق من جديد بالصهيونية ، وهي تحتل قلب ارضنا مستعينة بالاستعمار نفسه ومطبقة لما فات الاستعمار ان يطبقه من الوسائل الشنيعة ، ولا سند لها في كل ذلك الا مرتكزات يؤخذ حتى المجنون التفوه بها .

الوهم القومي والحق التاريخي :

وفي الاجابة عن الشق الثاني من السؤال ، نترك مناقشة الحق التاريخي لليهود في فلسطين ، حيث يزعمون انه كان لهم في لحظة من لحظات الزمان مملكة في جزء من تلك الارض . لقد كان اليهود شرذمة من جملة الشراذم التي مرت في قسم من تلك المنطقة ، وكما هم اليوم شراذم في بقاع من العالم الحالي . فهل هذا الوجود الحالي يبيح لاحفادهم ، بعد آلاف السنين ان يدغوا حق امتلاك تلك البقاع لان اسلافهم كانوا فيها ذات مرة !

اذا كان لبقايا الناس حق المطالبة بحيث من اسلاف لهم ، فانساه ليحقق لورثة الانظمة الرومانية ان يطالبوا الان وفي كل آن ، بحق العودة الى تركيا حيث كانت بيزنطة امبراطورية لمئات السنين . كما يحق لليونان اقامة دول في المناطق التي انساح فيها اسلافهم مع الاسكندر المقدوني . ولنا ، نحن العرب ، ان نطالب باسبانيا وبقارس حيث اقمنا قرونا . هذا .. مع الفارق الكبير في وضوح تاريخ الرومان واليونان والعرب وغموض تاريخ اليهود واضطرابه واختلاطه في جزء صغير من فلسطين ، ومع عدم نسيان القول ان ابراهيم الخليل الذي يدعونه قد

رؤوس الاموال ورؤوس الشعوب :

اذا ما اعتبرنا « بروتوكولات حكماء صهيون » مجرد مصنرهرستيري عابث ، الفت حديثا كما الفت التوراة قديما ، اذا ما اعتبرناها مجرد مصدر جانبي لجموح فكرة « شعب الله المختار » ، واذا ما اعتبرنا سيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام الغربي اطلاقا ، وسيطرتها الكلية او النسبية على رؤوس الاموال في مناطق متلاصقة او متقطعة من العالم ، فهل هذا يعني ان السيطرة على رؤوس الشعوب لا تختلف عن السيطرة على وسائل الاعلام ورؤوس الاموال ؟

صحيح ان الانسان لا يقاد من ناصيته بقدر ما يقاد من فكره ومن معدته . فاذا احتلت رأسه فكرة ما أفقدته الاحساس بالنار اذا ما حرق بها تقديبا لايمانه بتلك الفكرة . واذا ما احتلت مصادر ملء معدته رفع يديه وعلن الاستسلام . ولكن الاصح من هذا ان للانسان جولة اخيرة مع من يهدد مصيره . اصح من هذا ان للانسان تشعبيا لكل فكرة تطرح للتداول . حتى الاديان ، سماوية او ارضية ، بدأت فكرة واحدة ولكنها - رغم فداستها - لم تلبث ان تشعبت ولونها فكر الانسان الفردي كما يلون لعاب فمه لثمة الطعام بالوانه الخاصة . والاحزاب المعاصرة كم من حزب منها بدأ خلية واحدة ، ثم انشطر الى عشرات الخلايا

اسرائيل باطل الاباطيل وقبض الريح !

- تتمة المنشور على الصفحة - ١٠ -

لليهود ان أقاموا ، في ظلمات التاريخ « مملكة » في بقعة صغيرة من فلسطين فكم عاشت تلك المملكة ، وهل كان العرب هم الذين قوضوا اركانها ، وشرذوا اليهود في شرق العالم وغربه ؟ انهم يقولون ، ونحن ايضا نقول ، بفخر او باشد الاسف، اننا وهم ساميون ، ولفتهم شقيقة لفتنا . ولكن ما الاضطهاد الذي انزلناه بهم ، ونحن أقوى ما نكون وهم أضعف ما يكونون ؟ هل لقيناهم بغيراط من الكراهية التي لوفوا بها في اوربا ، شرقية او غربية كانت ؟ وكيف ينصبون علينا باحقادهم المزمنة على غيرنا ، ويعقدون نقصهم المفرحة التي الحقها بهم غيرنا لقللة ادبهم وسوء تصرفهم، كيف تباد هنا الصهيونية باحتلال ارضنا وبالقتل الذي لا احتياط فيه؟ عذبوا في اوربا ففانتهم الرجولة هناك ، ثم حملوا الوسائل التي عذبوا بها وجاعوا يستدركون رجولتهم على ارضنا وفي شعبنا ! ماذا سببنا لهم ؟

ان حفظنا منهم كحظ اي بلاد في هذا العالم . لدينا اقلية منهم كما لدى العالم منهم اقليات . فماذا يلزمنا بان نفسح لهم مكان دولة في ارضنا ؟ لو كان في ارضنا متسع . لو كانت فلسطين بلا اصحاب لو انهم لم يبادهونا بالذبح والتشريد واحتلال الارض . لو انهم لا يهدوننا بالابادة صباح مساء . لو كانوا لا يستعينون بالاستعمار لفعل ذلك كله . هل كان بين العرب من يبخل على اليهود بان يعيشوا اقلية دينية بيننا كتلك الاقليات العرقية التي اندمجت بالعرب ، لها ما لهم وعليها ما عليهم ؟ اما ان يأتوا بهذه الحدة ويضربوا بهذه الشدة ، وبناء على فكر صهيوني ومخطط استعماري ، فهذا ما لا يسعنا قبوله ، ولا الاستسلام لمنطقه وواقعه ونقله .

الصهيونية والانخداغ بفرور القوة :

ليست الصهيونية اول قوة غازية تطيش طمعا بالارض العربية . فقديمما طمعت فيها الحبشة محرصة من بيزنطة . والفرس البست طمعا حجة طرد الاحباش . ثم اجتاحتها بنسب متفاوتة : المغول والصليبيون والأتراك والاستعمار الحديث . وكل موجة من هذه الامواج اندفعت فوق ارضنا باخرى من الحقد الصهيوني وبمشلوحسيته وعنقه . وكل موجة من تلك الامواج كانت اضعاف الصهاينة عددا وعدة . ومع هذا ، فاين هم المغول والصليبيون والأتراك والاستعمار الحديث ؟

نترك لاسرائيل ان تستعمل المنطق والواقع والتعقل بالاجابة عن هذا السؤال . ان التاريخ يقول اننا دفعنا اماننا باهظة للتغلب على تلك الامواج الفازية الطائشة . هذا صحيح . ولكنه كم يشرفنا ويشهد لنا بالاصالة . فقد نضعف احيانا ، ونقلب حيننا على بعض ارضنا اما الذين غزونا فاين هم ؟ فهل لدى الصهيونية غير وسائل تلك الامواج الوحشية ؟

اسرائيل والطريق المسدود :

اننا ، كما تقول اسرائيل ، نهدد اليهود ان سنرميهم في البحر . واذا كانت تصد هذا خطأ منا ، وهو مجرد تهديد لم ينفذ منه شيء فهل كانت الصهيونية على صواب ، وهي تنفذ رمي الفلسطينيين ، الذين لم تستوعبهم وسائل قتلها وذبحها ، الى العراق ؟ ثم اين طيش ذلك القول ، الذي ما تزال وسائل اعلامها تضج به في طول العالم وعرضه، من طيش موسى ديسان وزمرته بتهديدهم ان لن يكون مصيرنا ، في سورية ومصر والاردن ولبنان والعراق ، باقل رعبا من مصير الفلسطينيين ؟ هل تريد ان تقابل وحشيتها بالاستسلام ، وان تترك حقنا لباطلها ، وان نموت نحن لتجبا هي ؟ ومتى كان الانسان ، عربيا او غير عربي، يحني رأسه للخطر الماحق المحقق به ؟ هل تظن ان ضربها لمندنا ولقرانا من حول فلسطين كفيل باستسلامنا ؟ اذا كانت ترانا قد هنتا عندها الى هذا الحد ، فانه لا يزال لدينا الفرصة في ان نموت دفاعا وكفاحا وليس استسلاما . ان حق اختيار الموت ، ما دام لا

جاء من « اور » وكان تعريفهم لا يزيد عن تعريف جماعة بدوية متقلبة . نترك مناقشة الحق التاريخي المدعى ، لانه من دواعي السخرية والتندر ان يأتي انسان ما الى انسان آخر في بيته ويطلب اليها خلاه ذلك البيت محتجا انه وجد في كتاب ادبي ، هو الاخر بحاجة الى براهين كثيرة لاثبات صحة عقول الذين كنبوه ، ان مكان هذا البيت كان قبل الفتي سنة لاحد الذين يتبع دينهم . واذا كان ما يرد من اسماء امكنة في الكتب يبيح لورثة ذلك الكتاب المطالبة باحتلال تلك الامكنة ، فانهم ليتمكن لنا نحن ان نطالب بانقرة لانها وردت في شعرنا الجاهلي . واذا كان لكل انسان ان يحتل موطن فكرة يتشبع لها ، او موطن دين يعتنقه ، فهل كانت الصهيونية تستطيع ان نجد لها موطن قدم في العالم كله !

اننا لا ننكر على اليهود ان يتذكروا ماضيهم . فتذكر الماضي من مميزات الانسان . ولكننا ننكر ان تصل حماقة هذا التذكر الى حد اغتصابنا بقعة من ارضنا يزيد وجودنا المستمر فيها ما عدا الوجود الكيفي عن ١٥٠٠ سنة . ونوجد في نفس الوقت في المناطق المحيطة بها بالجهات الاربع . ثم ان تتخذ هذه البقعة فاعسدة للاستعمار تهدد بقاءنا كامة تمتد ارضها في قارتين من الخليج الى المحيط . ثم ان تدق الصهيونية اجراس الخطر بهذا العنف الذي لا يقف دون حد الابادة ، وكان كل ما ذاقه اليهود من الاهانة خلال وجودهم كله على ايدي غير العرب يجتمع مرة واحدة لتناقصنا به الصهيونية بلا هوادة . هذا هو ما نكره ، ونحن نستغرب طيش الصهيونية تجاهنا .

نحن والاقليات العنصرية :

لم يثبت حتى الآن ، رغم براعة الصهيونية في الدعاية وجرانها على الادعاء ، ان اليهود عرق انبثته البشرية ، متميزا عن غيره ، فيما انبثت من عروق . بل هم جماعة بعوية ثم دينية ، تقلبت فيما تقلبت به جماعات كثيرة من عبادة مظاهر الطبيعة والحيوانات حتى عبادة العجل . وبالحرى اتهم جماعة فكرية اتخذت المظهر الديني كاي دعوة فكرية في العصور القديمة . ومع هذا . . فحتى التساهل بافتراض هذا الوهم ، انهم اقلية عرقية ، لا يزال لها بعض بثورها في مناطق من الارض العربية ، فان اليهود ليسوا الاقلية الوحيدة التي لها وجود كفي بين العرب . فالعرب قد آووا وتقبلوا حتى الاقلييات العرقية في العصور القديمة والحديثة على السواء . ولكن هذه العرقيات وعت مصائرهما واعترفت لمن آووا وشاركوها ارضهم ومرافقهم العامة بالفضل الى درجة انها ربطت مصيرها بمصير العرب الااليهود ، فما بالهم ؟

دولة لتفادي الاضطهاد :

يقول اليهود انهم منبوذون من العالم ، وظلوا عرضة للاضطهاد الى ان جرى لهم ما جرى في المانيا النازية . . ولكي يتفادوا الاستمرار فيما رافقهم عبر العالم ، فقد اهتموا بالصهيونية الى اقامة دولة . . الخ . .

ولكن ما ذنبنا ، نحن العرب ، في كل ما تعرضوا له عبر العصور وعبر العالم ؟ اذا كان اضطهادهم ونبذهم من العالم يرجع الى حب ذلك العالم للاضطهاد والنبد ، او يرجع الى قللة ادب اليهود وسوء تصرفهم تجاه الذين يؤمنهم ، فما هي مسؤولية العرب في حب غيرهم للنبد والاضطهاد ؟ واذا كانت الثانية ، فهل نحن المسؤولون عن قللة ادب اليهود وسوء تصرفهم اكثر من اليهود انفسهم ؟ اذا كان قد سبق

مناص منه ، لا يمكن ان يعيينا به أحد .

لماذا تستنكر اسرائيل ان نعاملها حسب نص توراتها : السن بالسن والعين بالعين ؟ هل سن الصهيوني من ذهب وسن العربي من خشب ، وعين العربي من بلور وعين الصهيوني من نور ! هل البقاء للصهيونية وحدها وغيرها مجرد نسمة هواء عابرة في الفضاء ؟ الصهيونية تطارد آيخمان فتخطفه من الأرجنتين لتقتص منه في تل ابيب . هذا حق لها . اما ان نحاول نحن استرجاع أرضنا ومطاردة الصهيونية على هذه الأرض ، وقد انزلت بنا اصعاف ما أنزله ايخمن بها . الصهيونية اخلت أرضنا . ايخمن لم يحتل لها أرضا ، ولم يهتك لها مقدسات - ان نقاومها وهي تفعل بنا ما لا يجمله احد ، فمن يلومنا في ذلك ؟ اذا كانت اسرائيل تتخذ القوة الوحشية لفرض وجودها الذي لم يتجاوز بعد اثنين وعشرين عاما ، أفلا يجدر بنا نحن ان ندافع عن وجودنا الذي يملأ تاريخ هذه المنطقة ؟ انها تخوفنا بالثمن الذي سيكلفنا اياه هذا الدفاع ولكن هل لنا ، وقد فرض علينا ذلك ، الا ان نندرع في مواجهتها بالصبر والتضحية اللذين تدرعنا بهما في كسر الامواج الفازية التي سبقت الصهيونية الى بلادنا . وهل كان للارض من رأسمال غير دم ابائها لينفق في الدفاع عنها ؟ اذا لم ندفع هذا الثمن افلا نصبح ذات يوم بلا أرضنا ، وتسمي أرضنا ذات يوم بلا ابائها . فعلى اي شيء تتكل الصهيونية باشادة هذه الدولة التي اغتصبت لها الارض ولا تفتأ تحشدنا بالسكان والسلاح ؟

اذا نفت الصهيونية انها ليست « موضحة » جديدة للاستعمار ، بل انها مجرد مستفيدة من الاستعمار ، واذا استمرت بالتوكيد المرة تلو المرة انها قادرة على مواجهة الدول العربية ، منفردة ومجتمعة وتقدمية ورجعية ، كما لا تفك تقول ، فالى اي مدى ستكون القوة مجدية ، والى اي يوم سيظل الضرب العنيف مخيفا وضامنا للبقاء ؟ هل سيفتح الضرب العنيف طريق البقاء ام سيؤدي بها الى عقبة لا تستطيع تجاوزها ولا البقاء عندها ؟

ان الازهاب بالضرب العنيف تجربته القوى الفازية الوحشية ولجات اليه الدول الاستعمارية ، مضافا اليه عامل الزمن والاكتشافات العلمية والدراسات النفسية ، فكان ان صار بالقوى الوحشية الى الانكشاف السريع والانقراض ، وبالدول الاستعمارية الى النقل ثم الانكفاء بما وجدت عليه نفسها من أرض الاجداد . فهل لدى الصهيونية اكثر من تلك التجارب للقوة والعنف ؟ ام انها تتخذ القوة وسيلة الى التمايش السلبي ، كما تتخيل مع سكان هذه المنطقة ؟ اذا كانت التجارب الاولى باطلة ، فان المحاولة الثانية المفلوطة اشد بطولانا . ان الصهيونية قطعت على اليهود الطريق منذ ان بدأت تمشي فيه ، لان تقتيلها للسكان وتذبيحها اياهم وتشريدهم واغتصاب ارضهم ، لا يمكن ان ينساه ولا يتجاوز عنه حيوان اعجم ، فكيف ان ينساه ويتجاوز عنه الانسان العربي الذي يجعل كرامته فوق وجوده !

صحيح ان اسرائيل باحاديثها الوجيهة ونصائحها للنازحين الفلسطينيين تدعوهم ب « الاخوة » وتظهر من اللين في تلك الاحاديث ما لا تذكر معه مذابح قبيلة ودير ياسين وضرب المخيمات ، ولكن هل هي باحاديثها هذه تحملهم على اليأس ونسيان بلادهم ، كما تقصد ، ام انها تشير بتلك النصائح اكثر مما تهديء وتذكر بالعداء اكثر مما تنسى ؟ انها تتكلم من مركز القوة معتبرة ان القوة هي كل شيء للغالب وكل شيء على المفلوب . وتنسى بان القوة ، والقوة الاجنبية بخاصة ، ما كانت ابدا ولا قط ، وسيلة للسيطرة على شعب في ارضه . وهذا هو التاريخ امام الصهيونية فلتتصفح منه ما تشاء قبل ان تصل الى العقبة التي لا تستطيع تجاوزها ولا البقاء عندها .

الصهيونية غزو اوروبي :

ونظلم مع الواقع ما دامت اسرائيل تفترضه وتبعوننا للاخذ به . ولكننا الآن مع واقع اسرائيل بالذات . ولننقل ، ايضا ، انها مجرد مستفيدة من الاستعمار ، وليست جدلا من جلوده التي ما يفتأ يظهر

بها . . . ان اسرائيل لا تستطيع ان تنفي ان فكرة ايجاد دولة لليهود انما نبئت في خيال يهود اوربا ، وليس في خيال يهود هذه المنطقة . والاشخاص الذين حضنوا هذه الفكرة ، وضمنوا لها حرارة الاستعمار حتى فقتبت ، هل كانوا يهودا شريكين ام غربيين ؟

لقد سبق لهذه المنطقة ان عرفت الغزو الاوروبي في اوقسات دوافع مختلفة . عرفته على ايدي الذين فقدوا مناصبهم واماراتهم في اوربا ، فابى عليهم طهوجهم ، او انهزامهم هناك ، الا ان يحملوا الصليب الذي انبته هذه المنطقة سلاما ليهاجموها به جريا واحتلالا مستغلين اقدس شيء لاخيت غاية . وشهدته على ايدي الاستعمار الحديث ، الذي لم نكد نتخلص من مظاهر غزوه ، حتى تجدد ، ولكن بمظهر الصهيونية ، وكأنه قد وجد فيها كل ما كان ينقصه من ذرائع التمركز . وتتشدد الصهيونية بنفي انها ليست حركة استعمارية مدبرة على اساس عنصري تجهد في فرضه . ولكن هل كان سميها يعني اقامة دولة لليهود في هذه المنطقة بقدر ما تعني ان تكون هذه الدولة جزءا من سوريقي اوربا من آسيا وقاعدة عسكرية امامية تحمي اوربا من البربرية « كما يحلو لهرتزل - احد مؤسسي الصهيونية - ان يقول (1) .

ان اسرائيل كانت ، ولا تزال ، « مستطيفة بغيرها » . وهل كان ذلك الغير الذي استطاعت به الاستعمار البريطاني ، وهل الغير الذي لا تزال مستطيفة به الآن الا الاستعمار الاميركي المتعمت ؟ وهذا ما يشهد فينا العزم ، ما دامت قد وضعنا في خط مواجهة مصر محتوم ، الى ان نقاومها . كما قاومنا الاستعمار . وثمنها هو نفس الثمن الذي لا تزال الشعوب المستعمرة جاهدة في دفعه . ان الصهيونية اخرى منا باستعمال المنطق الصحيح لتتغبط بتصفية الاستعمار . ولو كانت مخلصه في المنطق الذي تهول علينا به لاستدلت هي به على زوالها ما دامت لا تزيد عن فرع من شركة الاستعمار . وهذا ما يجعل الصهيونية تخطيء ايضا مرتين في منطقتها الناتج من مقدمات القوة والعنف في الضرب ، لانها كانت نفس مقدمات الاستعمار . واذا لم يكن علينا ان نواجهها كدولة اجنبية فلا بد لنا من مواجهتها كوجه آخر من وجوه الاستعمار التي اريق ماؤها في معظم مناطق العالم . والراي العام العالمي الذي خدعته زمننا ما سيستفيق على هذا الواقع وبكفر عن اتخذامة .

تبصير بالمنطق والواقع والتغفل :

ان الصهيونية وان تشبهت بالاستعمار احتلالا لارض وبطشا وحشيا بسكانها ، فانها لا تشبه دول الاستعمار من ناحية اهم ، كان اجدر بالمنطق الصهيوني ان يضعها في الاعتبار الاول . الاستعمار الفرنسي لما صفى ، وجد الفرنسيون المتوزعون في المستعمرات بلادا يرجعون اليها . ولما غرب الاستعمار البريطاني عن الامبراطورية التي كانت تتحدى الشمس ان تقرب عنها ، بقي للانجليز جزيرة يقبسون فيها . والاستعمار الاميركي حين سيلحق بسابقه ، سيجد الاميركيون فوهات آبار بترويل ومناجم وآلات زراعية يجترونها منهم من حولها . اما اليهود الذين تآبى الصهيونية الا ان تحشدهم في هذه المنطقة ولا تفتأ تشن بهم حملات التقتيل والتدمير والابادة ، فالى اين يلجأون اذا ما قاضاهم الحرب هذا الحساب الفادح . . اذا ما قام الاخ يثار لآخيه . . اذا ما راحت الام توقف عظام ابائها لتشق بها قلوب الذين قتلهم . . اذا ما هب اصحاب الاعراض المهتوكة يردون اعتبارهم ، واصحاب الارض المسلوية يسترجعون ارضهم !

هل نحن الذين نقول سنزيمهم في البحر ، ام ان الصهيونية هي التي لم تترك مكانا لليهود الا البحر ! لماذا نبالغ الصهيونية في اخراجنا وتحشد اليهود في هذا المآزق ؟ لماذا تركب هذه المعادلة الشيطانية : العرب والفناء واليهود . ولا تترك لها حلا الا « مجهول » القتال ؟ لقد

(1) تيودور هرتزل ، الدولة الصهيونية ، لندن 1896 ، ص 29 .

تعدت القضية فلسطين كجزء من الوطن العربي ، وتجاوزت الفلسطينيين كجزء من الشعب العربي ، وصار كل عربي من الخليج الى المحيط ، امام معركة المصير التي فرضتها الصهيونية فرضاً .. ومن لم يمت بالسيف مات بغيره . هنا ، فلنستعمل اسرائيل المنطق والواقع والتفعل . فنحن ما أردنا باليهود شراً ، ولكن الصهيونية هي التي أرادت بنا وباليهود على السواء .

اسرائيل والفورور :

يخلو لاسرائيل ان تمت بعض الزعماء العرب بالفورور ، فتردح في هذا المجال وتجمح . ونحن لا نريد ان نحرم فم اسرائيل حلاوة هذا النعت . ولكن اذا قسنا مصيرنا كاملة منتشرة بين الخليج والمحيط بمصير الصهاينة الوافدين كمجموعات غازية الى هذه المنطقة فابنا يكون الفورور ؟ تهدد .. ستحتل ما بين الفرات والنيل واطرافها من الجزيرة العربية .. ستفرب مئة مليون عربي . ولكن هل هذا التهديد منطق وواقع وتفعل ، أم غرور وطيش وحمافة ! صحيح ان بريطانيا كانت تفرب سكان مستعمراتها . ولكن بهجندين من مستعمرات اخرى ، ولم يكن - ما عدا القواد - بالانجليز . فماذا كانت عواقب الاحتلال والضرب ؟ وصحيح ان اميركا تحارب في فيتنام بقوة مئتي مليون اميركي ، وكذلك ماذا اغل هذا الضرب حتى الآن ؟ ترى ، بكم مليون ستحارب الصهيونية ، ومن هو الفورور .. بل من هو الاحق ؟ احتلت فلسطين ؟ وقديما « خربت اسرائيل ، ولم يعد لابنائها وجود . واضحت فلسطين ارملة لمصر » . (٢) وحدها ، فكيف وقد اضطر العرب جميعا لان يكونوا في معركة المصير !؟

مرة اخرى مع الوهم القومي :

واخيرا ، لا بد لنا من الوقوف مرة اخرى عند وهم الصهيونية الذي « عكرت » به الراي العام العالمي واصطادت به فلسطين ولا تزال تنأهب لاصطياد اكثر من فلسطين وهو : القومية اليهودية . فالصهيونية كما توهم ، حررت ارضا اضاعتها قبل الف سنة فقط ، وقد وجدت وصفها في التوراة ووعدا من « يهوه » بالعودة .. وعلى هذه الارض كانت عرفا الخ ... فالى اي مدى يصح هذا الادعاء ، ويخول الصهيونية حق احياء تلك الدولة ؟

ان المؤرخين ، على اختلاف تعريفهم للتاريخ ، لم يعتبروا التوراة « كتاب تاريخ » . بل « هي وجهة نظر خاصة » لاناس يلغنون انفسهم فيها بلا مراعاة لاي شرط آخر . ومن يلغن نفسه بهذا السخاء وبهذا الصديق ماذا يهيم ان يلغن كل شيء آخر ؟ انهم يصرخون فيها بالويل والثبور على انفسهم . ولو كانوا عرضوا على « لجنة طبية » في ذلك الوقت ، هل كانت تتردد بالحكم على عقولهم بالاختلال وعلى انفسهم بالانحراف ؟ وما داموا في مثل هذه الحالة ، فماذا يردعهم ان يصبوا الويل والثبور على العالم كله ؟ واذا كانت المطالبة بفلسطين وطننا « قومييا » لهم على هذا الاساس ، فهل يحق لشخص احب فناة ونظم فيها قصيدة او كتب فيها قصة ، ان يطالب باولادها وباحفادها لان اسم امهم وجدتهم ورد في شعره او نشره ؟

فهمتي كان اليهود في فلسطين ، ومن هم الفلسطينيون ؟ يقول فاليري اكنسون : « ان الاسم الحقيقي لفلسطين جاء من الفلسطينيين الذين لم يستول على ارضهم (غزة) مطلقا ، حتى ولا من قبل الملك داوود . وكسان السكان الاصليون خليطا من الساميين قبل ان ياتى اليهود من اور ، وحتى اورشليم كانت مزدهرة قبل ان يستولي عليها الملك داوود بشماني مئة سنة (٣) .

فاليهود ، اذا ، لا يمتون الى فلسطين بصله النشوء اطلاقا . وانما تفرض اي مجموعة بدوية وافدة سيطرة مؤقتة ، كذلك فرض اليهود

(٢) قصة الحضارة ، ج ١٢٢ ، اول ديورانت ، ص ٣٢٤ .

(٣) المجلة الجغرافية ، رسالة الى رئيس التحرير ردا على «العودة الى ارض الميعاد» المنشور في عدد كانون الثاني ١٩٦٩ . آذار ١٩٦٩ ، لندن . (٤) قصة الحضارة ، اول ديورانت ، ج ١٢٢ ، ص ٣٤٨ . (٥) اسرائيل والعرب ، مكسيم رودنسون ، بنجوين بوكس ، ص ١٠ .

مثل هذه السيطرة الموقته الى ان انقسمت « يهوذا » الجنوبية عن « افرايم » الشمالية ، وكان بينهما من العداء ما ادى الى انهيار الاثنين في مدة قصيرة . (٤) وهذا يعني ان اقامة اليهود « مملكة » في جزء من فلسطين كان اغتصابا وقهرا ، كما هو حال الصهيونية الآن . واذا كان الاحتلال يعطي المحتل حق انتسابه الى الارض التي احتلها فترة قصيرة من الزمن ، فالانجليز ، اذا ، صاروا هندودا وعربا ، والترك صاروا عشرات القوميات ، والفرنسيون صاروا صينيين وافريقيين وعربا الخ .. اذ ان كل دولة من هؤلاء قد لبثت في البلدان التي احتلتها اضعاف اضعاف ما عاشته مملكة يهوذا وافرايم في جزء من فلسطين . واذا كان للناس الحاليين حق امتلاك ما مر به اسلافهم ، فيحق لنا نحن ، اذا ، امتلاك سمرقند التي اسسها في سالف الاوان احد اتباعه اليمين اذا جعلنا صحة اخبار التوراة بمستوى صحة اخبار تبع !

وادعى للتندر من ادعاء الصهيونية فلسطين ادعاؤهم قومية يهودية . اذ ان سلامة اي عرق من البشرية لم تسعها ذمة اشد القائلين بالقومية تعصبا حتى وان بقي هذا الشعب في الارض التي انبتته آلاف السنين . فكيف تضمن سلامة « عرق » في حالة عصب العينين والافتراض ان اليهود عرق ، وقد على فلسطين وفودا ، واضطرب بينها وبين مصر ، وغضب عليه الرومان اكثر من مرة ، ثم حمل الى بابل مفضوبا عليه ايضا ، وتفرق في العالم مشهورا بالفضب . واي ساب في تلك العصور كان يعف عن مسيائه واي غاضب كان لا يطفى غضبه في نساء المفضوب عليهم ! فمن يستطيع ان ياخذ على « ذمته » ان يهود اوربا الشرقية والغربية ، ويهود اي مكان في العالم ، هم من اولئك الذين مروا في فلسطين ؟ وحتى كدين ، كان اليهود يغيرون كما يقول رودنسون ، دينهم حتى قيام الثورة الفرنسية . (٥)

فليت اسرائيل تستعمل المنطق الصحيح وليس منطقها الخاص . واذا كان اعجابها بدعائنها و« واقعها » القصير قد انساها (التفعل) الذي تفرضه علينا ، واذا كانت قد اغترت بانخداع العالم بها ، وبضمان بقائها من قبل شركة ضمان الاستعمار الاميركية ، فان العالم سيحسد متسعا يلوم فيه نفسه على انخداعه ب « باطل الاباطيل » والذين يتكلمون ببقاتها قد يجدون تحت اقدامهم ارض بلادهم يعيشون عليها ، كيفما كان ، بعد ان يروا الصهيونية « قبض الريح » . اما الصهيونية وقد اخذت تحشد اليهود في فلسطين وتشن بهم غارات التدمير والابادة على العرب ، فهل تركوا لانفسهم متسعا يعيدون فيه ما صرخ به يهودي قديم : « ويل لسي يا امي لانك ولدتني انسان خصام وانسان نزاع لكل الارض ، لم اقرض ولا اقرضوني ، وكل واحد يلغني .. ملعون اليوم الذي ولدت فيه . « آمين ! مرة اخرى ، فلنستعمل اسرائيل هذا المنطق وهذا الواقع ، ولتاخذ بهذا التفعل مرة واحدة .

يوسف احمد المحمود

صدر حديثا

صقيع تحت الشمس

شعر بشير قبطني

نماذج رفيعة من شعر المقاومة الفلسطينية

الثن ٢٠٠ ق . ل